قِرَاءةٌ نَقْدِيَّةٌ فِي أَزْمَةِ الْحَضَارَةِالْغَرْبِيّةِ عِنْدَ"رُوجِيه غَارُودي"

د. وفـــــاء برتيمـة
جامعة باتنة1/الجزائر
philowafa25@gmail.com

الْمُلخَّصُ:

تندرج هذه الورقة البحثية ضمن الدراسات النقدية المعاصرة التي تُعنى بتشريح مظاهر الحداثة الغربية في تشكيلاتها السلبية التي تهدد هوية الإنسان العالمي ومصيره المشترك ،إذ عكف المفكر الفرنسي "**روجيه غارودي** " على دارسة الحضارة الغربية وتشخيص مشكلاتها الراهنة ؛ يؤكد" روجيه غارودي" أن أزمة الحضارة الغربية تكمن في فصل الحياة عن الأخلاق والقيم التي جردت الحضارة الغربية من أبعاده القيمية ؛ وعليه نحن بحاجة لأخلاق كونية لفهم الأنا واحتواء الأخر،ولعل إلغاء الأبعاد الأخلاقية من أبجديات التعامل والخاطب وفعل الممارسة الغربي إزاء الآخر يكشف النزعة العدوانية للغرب في الطغيان وسلب هوية الأخر، ناهيك عن تنامي ظاهرة ارتفاع معدلات التشيؤ و حوسلة الإنسان إلى قيم كمية ثابتة في سياقات حداثية تقدم التقدم التكنولوجي وتبني العلم المنفصلين عن القيمة الفردية والجماعية ؛ ذريعة للتحرر من أوهام السلطة المتعالية، ودليل نحو تأسيس خطاب أحادي المرجعية يلغي الثنائيات المتقابلة بين ثلاثية متداخلة سببيا وغائيا انطولوجيا الوجود الإلهي والجواني والوضعي، ممَّا حتم على الإنسان لاسيما الغربي الدخول في أزمة هوية أخلاقية لما أفرزته إرهاصات عصور النهضة والتنوير والحداثة وصولاً إلى المتتالية المتحققة في إعدام القيم والمقدس، فالهوة بين ما كان سائد في الحضارات القديمة والحضارة الغربية المعاصرة هي فجوة قيمية ومعيارية تحيزت للمادي المطلق، وألغت كل اعتبار للمقدس والثابت إذا أصبحت المعادلة بين ما يجب أن يكون وما هو كائن متعامدة وظيفياً، وأصبح الإنسان يُعرف ببعده الوظيفي الآلي لا الجوهري الغائي وفق مسلمات التفسير الدار ويني الطبيعي والمادي ومزاعم البراغماتية و إرادة "**نيتشه**" الثورية ضد سلطان القيم ومنطق النصّ؛ فيكف أسس "روجيه غارودي مخرج النجدة للحضارة الغربية من خلال نقده لمقولاتها الحداثية وآلياتها؟

الكلمات المفتاحية: روجيه غارودي_ أزمة الحضارة_ نيتشه.

1. المقدمة:

لقد ولَّدَتْ الحداثة الغربية شرخاً في هوية الإنسان الكونية مخالفة لمبدأ ما يجب أن يكون عليه الإنسان، وذلك بتعريتها له من كل المقومات القيمية و إعدامها لمرجعية المقدس والموروث في شقه الإيجابي؛ ممَّا خلق هوة أخلاقية عميقة في كيان الإنسان الحداثي مسؤولة عن اغترابه، وعن القطيعة المطلقة بين عالم الإله وعالم الأنسنة، والتباعد بين أهداف العيش المشترك؛ إذ أصبح العيش ملغمًا وفاسدًا، وذلك بالهجرة من عالم الإلزام الأخلاقي إلى توطين الإلزام اللاأخلاقي من خلال محور السوق، الجنس، الإعلام؛ مما أوجب إعادة بعثها من جديد من خلال حقنها بقيم الإسلام الكونية؛إذ تندرج إشكالية الأخلاق في الحضارة الغربية المعاصرة ضمن مبحث القيم الذي يراعي ما يجب أن يكون عليه الفعل الأخلاقي من قيمة إيجابية تمتد لعالم الفضيلة أو الخير الأعظم، لكن الاختلاف بين أطياف المفكرين والعلماء في تحديد مصدر الأخلاق وطبيعتها وغاياتها؛ جعل الكثير يتجاوزها كواجب كونها رمز للضعف ويستغلها كوسيلة لغايات غير مشروعة، ولعل إلغاء الأبعاد الأخلاقية من أبجديات التعامل والخاطب وفعل الممارسة الغربي إزاء الآخر يكشف النزعة العدوانية للغرب في الطغيان وسلب هوية الآخر، وتنامي ظاهرة ارتفاع معدلات التشيؤ وحوسلة الإنسان إلى قيم كمية ثابتة في سياقات حداثية تقدم التقدم التكنولوجي وتبني العلم المنفصلين عن القيمة الفردية والجماعية؛ ذريعةً التحرر من أوهام السلطة المتعالية، ودليلًا نحو تأسيس خطاب أحادي المرجعية يلغي الثنائيات المتقابلة . بين ثلاثية متداخلة سببيا وغائيا وانطولوجيا ،الوجود الإلهي، والجواني، والوضعاني؛ مما حتم على الإنسان لاسيما الغربي الدخول في أزمة هوية أخلاقية لما أفرزته إرهاصات عصور النهضة والتنوير والحداثة؛وصولا إلى المتتالية المتحققة في إعدام القيم والمقدس،ألا وهي العلمانية الابن المدلل للحداثة المادية والسلبية –على حد تعبير الكثير من النقاد المعاصرين –فالهوة بين ما كان سائد في الحضارات القديمة والحضارة الغربية المعاصرة هي فجوة قيمية ومعيارية تحيزت للمادي المطلق وألغت كل اعتبار للمقدس والثابت إذا أصبحت المعادلة بين ما يجب أن يكون وما هو كائن متعامدة وظيفيا، وأصبح الإنسان يعرف ببعده الوظيفي الآلي لا الجوهري الغائي وفق مسلمات التفسير الدارويني الطبيعي والمادي ومزاعم البراغماتية وإرادة **"نيتشه"** الثورية ضد سلطان القيم ومنطق النصّ؛ لتهرول الحضارة الغربية نحو أخلاق السوق والمعاملات الرقمية نابذة لكل المقاييس الإنسانية والتثاقفية،ومكرسة مختلف الوسائل لتحقيق أهداف العنصرية العرقية والسمو المركزي الحداثي والمعرفي في طابعه المادي المطلق، فجردت الإنسان من امتيازاته الخاصة وتعاملت معه كالتعامل مع الحيوان أو الجماد، فهي منذ نشأتها في القرن (15م)قامت على أساس مادي لا يعترف بأي حقيقة خارج نطاق المادة مستنبطة أفكارها وأنماط سلوكها من الحياة الرومانية الوثنية؛ مما يكشف عن معاداة حق الأنسنة و فضائل التعايش المشترك بين مختلف الأجناس في هذه الحضارة التي أجهضت قيمتها بإعدام الإله

والإنسان معاً في مقابل السيطرة والتفوق المادي البيولوجي والاقتصادي والتعصب والفردية النفعية، ومن أجل تقويض مظاهر التصدع الأخلاقي في الحضارة الغربية عمد المستشرق الفرنسي الأصول مسلم الديانة كوني الانتماء "**روجيه جان شارل غارودي**"(1913-2012م) صاحب مشروع في سبيل حوار بين الحضارات-1977- إلى نقدها من الداخل وتشخيص العلاج من الخارج، أي : أمنحة أخلاق الإسلام في المجتمع التداولي الغربي لتحقيق مشروع الهداية الإلهي بالاستناد لإنجازات الحضارة الشرقية الروحية، وعلى قاعدة وهرم المشروع الأخلاقي القرآني.

تنطلق الإشكالية المحورية لموضوعنا من خلال التساؤل الجوهري القائل: ما المرجعيات النقدية التي يمكن أن نخلص من خلالها إلى تقويض الرؤية المادية للحضارة الغربية وإعدامها للقيم الأخلاقية في شموليتها؟، وكيف تعامل "**غارودي**" مع الحضارة الغربية وقيمها المادية؟ وهل نقده لها كان عمودياً انتقائياً أم نقداً أفقيا له وظيفته المعرفية ومشروعيته الكونية في وحدة إنسانية مشتركة؟ أو بمعنى آخر هل يمكن إسقاط أخلاق المجال التداولي الإسلامي وتبيئتها على الحضارة الغربية أم يتعذر ذلك؟

وهل يقبل الغرب أخلاق الإسلام كمناعة لأزماته أم يستحيل ذلك؟ ، بناءً على صراع جذري متجذر في الدم وليس الثقافات فحسب؛ لذلك فرضت طبيعة الدراسة علينا اعتماد المنهج التحليلي الملائم للموضوع؛ من أجل التفسير وربط العلة بين العلاقات المتداخلة بين مظاهر الدارسة؛ إذ تكمن أهمية الدراسة في تبيان التناقض الداخلي للحضارة الغربية بين ما تدعو إليه من عقلانية وحرية وحقوق التعايش والشراكة الإنسانية و بين ما تمارسه من تجاوزات و إقصاء هويّاتي وقيمي وتشاركي يحول دون تحقيق قيم المواطنة العالمية و أخلاقها الكونية، وهذا المركب المتضاد والمتناقض بين ماهو كائن ومايجب أن يكون كان سبباً وجيهاً لمعالجة و ايثارة تغول الهيمنة الغربية بأبعادها الاختزالية المادية والأحادية؛ بهدف الكشف عن الأطماع الامبريالية في السيطرة عن العالم وسيادته وسلخه عن مرجعياته القيمية بحجة التفوق التقني والعلمي.الذي حكم على العالم بحالة الاضطراب والقلق نحو الهاوية.أو مصير عدمي.

2. تحديد المفهوم التأسيسي"الأخلاق":

أ- **لغة** : هي: «جمع خلق: وهو العادة والسجية، والطبع، والمروءة، والدين، إنه صورة الإنسان الباطنية، وهي نفسه وأوصافه ومعانيه المختصة بها»[1].

ب-**اصطلاحاً**: عرَّفها "الجرجاني": «الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. فإن كان صادر عنها الأفعال الحسنة، كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة،سُمّيت الهيئة _التي تصدر عنها هي مصدر ذلك_ خلقاً سيئاً»[2]

3. موقف "غارودي" من أخلاق الحضارة الغربية"

تُعَدُّ مسألة الهيمنة، والمركزية، والمنفعة، والعالمية من أهم أولويات عمليات التحديث في العالم الغربي، لاسيما مع تصاعد وتنامي سلطة العقلانية المادية والتقنية التي تعززت بميلاد الحداثة، هذه الأخيرة التي أفرطت في اختزال الحياة والإنسان في بُعد آحادي مادي مطلق مع إقصائها لكل الثنائيات، ومنظومات القيمة الأخلاقية، وإعدامها للمقدس؛ حيث أصبحت جدل الرحى عند النقاد والمفكرين نتيجة الأزمة التي أوجدتها مقابل التقدم، وهي ضياع البعد الروحي من هوية الإنسان، وإهدار قيمه الأخلاقية وفق مرجعية "**داروين**" (Darwin)،و"بنتام"(Bentham)، و"**فرويد**" (Freud)، و"**هوبز**"(Hobbes)، و"**نتشه**" (Nietzsche)؛وغيرهم، وتشجيعها للفكر العنصري والعرقي وقيم السوق والجنس...الخ.

إنَّ الحضارة الأوروبية المادية تقوم على ركيزتين، وهما: النزعة العلمية التجريبية، والنزعة الاستعمارية ؛ فهي تجريبية لأنها تتعامل مع الطبيعة والإنسان على أساس أنهما موضوعات قابلة للقياس والكم أو التقدير، ومن ثَمَّ إخضاع كل البنى للغة الكم ومساواتها بالطبيعة في جانبها المادي.

ممَّا يعني أنها شيّأت وحوسلة الإنسان لوسيلة أو سلعة ،يقول "**غارودي**": «تظن الحداثة أن العلم والتقنية هما المعايير الوحيدة للتقدم، يقودنا دين الوسائل هذه إلى الهاوية، حفاروا القبور هم هؤلاء الذين يروجون له، هكذا يحفرون، بلا تبصر،قبورنا»[3]؛ هذا ما يعكس التخطيط العالمي للاستراتيجية الاستعمارية الكونية الأمريكية الصهيونية في الهيمنة على العالم من خلال وسائل العولمة والاقتصاد والجنس...الخ

الحضارة الغربية حسب فهمنا لموقفه لا أخلاقية، سادت فيها أخلاق حديثة وغريبة: «ما يسمى علم الأخلاق الحديثة هو سلوك إباحي، لم يتساءل أبدًا حول المعنى الذي تحمله الضوابط قبل رفضها، لا تقع مثل هذه الأخلاق "فيما وراء الخير والشر" لكن من جانبه»[4]؛ حيث اعتبرت هذه الحضارة أن الإنسان شيء وليس وراءه روح ولا أساس لوجودها، فقد أنكرت جميع القيم الأخلاقية والاعتبارات التي تقوم على فكرة وجود الروح .وقد كان "**داروين**" من أكبر المساهمين في هذه النظرة إلى الإنسان وتجريده من أي امتياز خاص عن الحيوان، ثم جاء بعد "**داروين**" "**فرويد** "الذي منح للإنسان هوية جنسية (Sexualidentity) دونية تحتل مركز يعادل المخ، فهي مصدر كل السلوكيات النابعة عن الإنسان حصيلة دوافع لاشعورية تتمحور في الكبت الجنسي المتصاعد في مؤشرات التنامي والانتشار، وهذا ما يبرر التوسيع من قطاعات اللذة، والإعلام الإباحي، وتجارة البغي...الخ.

من خلال هذا تصل الحضارة الأوروبية إلى اعتماد قاعدة تتمحور في: «أنه ليس هناك فضيلة مطلقة ولا رذيلة مطلقة وأن كل شيء نسبي .ولما كان الأمر كذلك،فإن هذه الحضارة هي كذلك نفعية؛ مما جعلها حضارة

غادرتها الطاقة الأخلاقية لأنها أخذت كلشيء من باب المادة والطبيعة؛ مما جعل الأخلاق تزداد ضعفا كلما انفصلت عن الروح»[5]؛ لذلك يرى "**غـــارودي**" أن هذه الحضارة تتجه نحو انتحار كوني (Conny'ssuicide)؛لأن الحداثة حسب رأيه: «انتهت بكونها تغييرا من أجل التغيير، التجديد بأي ثمن، حدث هذا عن طريق الجهل بالتقاليد أو تحدي الوعي للتقاليد»[6]،إذ هي قامت ضد كل أصالة وأقامت قطيعة (Abreak) مع كل موروث يخاطب القيم والميتافيزيقا، فهي دفعت الإنسان نحو الجحيم بتصفيته في بُعد مادي آلي يهمش الأفعال والصفات الإنسانية فيه؛ حيث انتهى به الأمر إلى حياة الفوضى(Chaos) واللامعنى والعدم والعبث ، وكلها معانٍ لواقع مأساوي حداثي(Moderntragedies)يلخص طموح الإنسان الفاوستيالذي: «أسس ميثاقه مع الشيطان الذي أعطه مادة بديلة شديدة القوة على رفض كل هدف نهائي، والتأكيد على أن العالم والحياة ليس لهما معنى، الرجل الحالم بأن يصبح إلهاً دون أن يحقق ذلك»[7]؛ هذا مفاده رفض الحقائق المطلقة التي جاءت بها الأديان وإنكار السلطة المتعالية وكل المثاليات، فهي حضارة التقويض والتفكيك لكل مركب بنيوي. وعيب هذا النموذج الحضاري الغربي يكمن في العقلانية المادية التي غيبت المقدس بل أعدمته على خطى فيلسوفها العدمي "**نتشه**"، وبينت عدم صلاحية الميتافيزيقا التي كانت تمثل مصدر لكل القيم والأخلاق لتصبح العدمية مؤشرًاسلبيًّا لنحر الدين والأخلاق معًا، وهذا دليلٌ على أن الإله فقد ذاته أمام التقنية والعلم والإنجاز التكنولوجي والصناعي؛ لأن الحضارة الغربية حسب "**غارودي**" تسيطر على نسقها الحداثي جملة مبادئ وسلوكيات لها مفعول القوانين داخل تشكيلة أي نظام منها:

- حضارة يسيطر عليها من خلال العلوم والتقنيات عقل براغماتي مرتبطاً بحكمة الغاية تبرر الوسيلة.
- سلّطت عليها مقولة كل الأسئلة التي لا تستطيع الإجابة عنها، هي أسئلة خاطئة بما في ذلك أسئلة الخير والشر والتي تشكلت من خلال علاقات القوة.
- نظام تختزل فيه كل القيم إلى قيم سلعية.
- نمط حياة غربي يهدف إلى تحويل الإنسان إلى منتج أكثر وأكثر فعالية، مستهلك أكثر وأكثر شراهة في رغباته، تحركه مصلحته الفردية فقط[8]؛ وعليه بعد إعدام المرجعية الدينية والأخلاقية تراجعت مكانة الفرد في الحضارة الغربية بفعل هيمنة قيم السوق المادية على العالم نحو سيطرة عالمية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية التي أدخلت الإنسان الغربي في راهن منحط لتجرده من كل الأبعاد الدينية والإنسانية ويرى "**غارودي**" أنها تمثل نموذج الطليعة في الانحطاط والتدني الأخلاقي: « تمثل الولايات المتحدة الأمريكية كل أعراض الانحطاط وبصورة أكثر عمقا من الانحطاط الروماني»[9]

يقصد "**غارودي**" بالانحطاط (Décadence)ما يلي: «الانحطاط هو قطع أواصر النسيج الاجتماعي لتحويل المجتمع إلى ذرات لتخريب العلاقات بين الجماعات القومية، الاجتماعية أو الدينية، وذلك عندما لا تعتبر وحدة العالم هدفا نهائيا وقاعدة كبرى؛ يعني الانحطاط على المستوى الفردي الاهتمام بالنفس ورفض الأخر ورفض أي مسؤولية تجاهه وعلى مستوى الجماعات هو النزوع إلى السيطرة»[10].

وقد وجد"**غارودي**"أن الحضارة الغربية تتميز بعدة ميزات جعلتها تفقد طابع الأخلاق؛حيث إنها تفتقد إلى التسامي(Sublimation)، يؤكد "**غارودي**" أن الفلسفة الغربية التي تعكس وعي الحضارة الغربية وطبيعته وحدوده تفتقر إلى التسامي منذ الجذور الأولى لها، حيث نجد أن أول فلاسفة الغرب في **–أثينا–** وهم **السفسطائيون** وضعوا الصياغة الأولى لهذا المبدأ الأخلاقي فقالوا: «الخير يتعدد في امتلاك الرغبات الجامحة وامتلاك الوسائل لإشباعها»[11]. هذا تأكيد على النزوع اللاأخلاقي (Theimmoral) نحو المصلحة والمكاسب النفعية مهما كانت طبيعة الوسائل، فالأهم الغاية والهدف دون النظر في مشروعية الوسائل من عدمها،خاصة :«ونحن نعيش في هذا الربع الأخير من القرن العشرين أزمة عميقة في الثقافة الغربية وفي النمو (الفاوستي) الذي توحي به وهذا الأنموذج (الفاوستي) قد ولد مما يسمى عصر النهضة الغربية التي لم تكن ظاهرة ثقافية وحسب بل أيضا مولد الرأسمالية والاستعمار المواكبين»[12]،هذا ما انعكس على العلاقات الاجتماعية والأخلاقية في سياقها العام.

إنَّ السمة البارزة في العلاقات بين الأفراد هي التنافس الشرس المبني على أساس القوة والصراع من أجل المصلحة الخاصة مما يعكس قانون الغاب(Law of the jungle)الذي تغيب فيه المعايير الأخلاقية، حيث القوي يأكل الضعيف: «إن قانون الغاب هذا لم يزل يميز المجتمعات الغربية المبنية على النمو وعلى ميزان الرعب»[13].

وبهذه الفرضيات: «أصبح العلم مذهبا ينادى به لكل المعارف الإنسانية وأصبحت التقنية والسياسة الميكيافيلية هي النموذج المثالي»[14]، الذي يعود إلى "**ميكافيلي**"(Machiavel) مؤسس السياسة العلمية الأول في إيطاليا ، فهو يؤكد أن الغاية تبرر الوسيلة من خلال كتابه الأمير والمطارحات . "فحسن صعب" يقول في كتابه علم السياسة: « لقد وجد أرسطو العنصر الأول في علم السياسة وهو استعمال منهج الملاحظة، وأوجد ميكيافيلي العنصر الثاني وهو المنهج الموضوعي المتجرد من الاهتمامات الخلقية»[15]، فالأخلاق الميكافيلية تمثل العصب الذي تقوم عليه السياسات الغربية وفي مقدمتها أمريكا المتجردة من قيم الأنسنة في تعاملها مع الأخر، ولعل حرب العراق دليل تاريخي لا يحتاج التعليل فهو واضح بذاته؛ وانطلاقا من هذا يرى"**ميكيافيلي**" أن: «مقياس السياسة عنده هو مدى القوة التي وصلت إليها الدولة، وفي سبيل تحقيق تلك

القوة فهو يستعمل كل وسائل القسوة باعتبارها تحقق الغرض الذي تسعى إليه السياسة بغض النظر عن شرعيتها»[16]، أي لا أخلاق متعالية فوق مصلحة السلطة المادية (No transcendent moralityabove the interest of materialauthority).

لكن مادام كل المستويات متداخلة من حيث الغايات وإن اختلفت نسبيا في الوسائل، فحتى النظام الاقتصادي الغربي حسب "**غارودي**": «نجد أنه ليس بعلم بل هو إيديولوجية هدفها تبرير نظام اجتماعي معين ينظر إلى الإنسان كأنه حيوان، وما يسمى بالاقتصاد التقليدي الذي يدرس في جامعات الغرب وفي جامعات أخرى للأسف يخفي بديهية أساسية وراء المعادلة الرياضية»[17]؛هذا ما يؤكد سيطرة قيم السوق باعتبار الإنسان منتجا ومستهلكًا، فهو لا يخرج عن كونه سلعة تسوق أو بضاعة، ومن خلال وسائل العولمة يتم الترويج لكل المنتجات الاقتصادية التي تساعد على سلخ الإنسان عن هويته وأصالته ومرجعيته القيمة التي تميزه عن عالم الأشياء. يقول "**غارودي**": «إن الثقافة الفاوستية التي تنطوي عليها هذه الحضارة تزعم أن الحياة مقصورة على الضرورة والمصادقة .كما يقول واحد من علماء حياتها .، وعلى الشهوة العابثة .كما يكتب واحد من فلاسفتها .، وعلى الموت...وموت الإنسان وموت كل شيء»[18].

تقوم الحضارة الغربية حسب "**غارودي**" على الثقافة الفاوستية (Faustianculture)وتتجاهل معنى الحياة والموت؛ هذه الثقافة قادت الإنسان خلال (خمسة قرون) إلى طريق مسدود، ولو ثابر الفرد على السير فيها لوصل إلى الانتحار الكامل. يقول "**غارودي**" في هذا الصدد: «وصاغ "أوسفالد شينجلر" مفهوما للحداثة أطلق عليه حضارة "هذا الرجل الفاوستي "هذا الرجل العملاق والمبدع الذي لا يشبع طموحه وظمأه إلى المعرفة ولا يتوقف عن المعرفة، بل هو في بحث حثيث عن الحقيقة المطلقة، و"فاوست" عند "غوته" هو العبقري المغامر دوما، وبلا هوادة إلى المعرفة»[19]، هذا ما يكشف سيطرة مقومات الحداثة الغربية على مستويات الخطاب والفعل، خاصة العقلانية المادية التي تعبر عن جملة خصائص للمشروع الحداثي الغربي المنسلخ عن القيم، منها: {الفردية(Individual)؛عبر تدمير البنى القديمة للانتماء والهوية، من خلال هذا نرى أن الفردية تعني حرية الفرد في الحياة والاختيار، حيث أصبح الفرد بهذا المعنى محور كل برنامج يتبناه المجتمع؛الدنيوة أي الدنيوية (Worldly)،نزع القداسة عبر نقض النص الديني، وإحلال لتفسير العلماني للكون وللتاريخ محله؛ وكما نرى أن العلمانية فصل بين الدين والدنيا كمجالين مختلفين، فالدنيا هي جملة أشكال الحياة، أما الدين هو علاقة بين المؤمن والإله؛ العقلنة(Rationalization)، عبر سيادة العقل العلمي الأداتي بواسطة التبادل، السوق، الفعالية التقنية؛الجمهرة(Thepopulation)، عبر تبني وتعميم سلوكيات نمطيه في الحياة، ونلاحظ أنه بالرغم من تمجيد الذات الإنسانية، باعتبار أن الإبداع والفن خلق الفرد إن لم يمانع من تحقيق وحدة —جمهرة—

يعمها نمط واحد من السلوكيات في الحياة؛ العولمة(Globalization)، تعميم كوني لنموذج يقدم على أنه الوحيد العقلاني الممكن، والأفضل، والأمثل؛ والعولمة نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع}[20]؛ مما يعني أن الإنسان فقد إنسانيته مع أفول السلطة المقدسة، وإخضاع القيم لمعايير أو مقاييس نفعية على أساس أن الإنسان يستمد معرفته وقيمه من ذاته دون العودة للمرجعيات الدينية أو الموروثة؛ بالتالي فالحضارة الغربية تقوم: «على النزعة الفردية المتوحشة التي تحول دون استبعاد المجاعة والبطالة واليأس، وحياة بلا أفق، وتجعل جماهير من البشر يصبحون مع مرور الوقت أقل إنسانية وأكثر عرضة لتلاعب وسائل الإعلام، ويصلون إلى العدم بواسطة سيادة الفوضى»[21]، مما يؤكد حتمية أفول الإنسان في الطبيعة.

من خلال كل ما سبق نلاحظ مع "**غارودي**" أنَّ الأخطار التي تنجم عن أخلاق الحضارة الغربية هذه الحضارة التي تقوم في أساسها على الفردية ومبدأ الربح، ولكن هذا يتنافى مع القيم الروحية ويكشف عن التناقض في بناء منظومة القيم في هذه الحضارة؛ ذلك بسبب أن الإنسان فيها يهدف إلى تحقيق غايته الذاتية، وهي غاية مادية صرفة تغيب فيها كرامة الإنسان ومستقبله.

4. أهم نماذج التأزم الأخلاقي في الحضارة الغربية عند "روجي غارودي":

1.4.الأخلاق الماركسية

إنَّ الأخلاق الماركسية هي: «انعكاس طبيعي للفلسفة المادية المحضة، وبذلك نجد أن الأساس في الوجود هو المادة سواء فيالظواهر الطبيعية أو في الظواهر الإنسانية»[22]، ولقد برهنت الماركسية وحدها على أن الأخلاق ليست شيء ما مفروضاً على المجتمع من الخارج وليست نتاجاً لطبيعة الإنسان، وأن مصدر الأخلاق هو المجتمع والمصلحة الاجتماعية، لذلك رأى "**غارودي**" أن الرؤية الماركسية مشروع إيجابي فهي حسب رأيه: «الأسلوب الأمثل لمعالجة المشكلات الإنسانية المستعصية بأسلوب علمي واقعي، يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق مصالح الجماهير»[23]،وفي إطار هذا أصبحت الثورة البرولتارية: «قيمة أخلاقية وأساسية منذ منتصف القرن التاسع عشر وهي بذلك لا تقتصر على إرساء قيمة معينة فحسب، بل تهدف إلى أن تكون كوسيلة ضرورية لتحرير الإنسان وتفتحه»[24]؛ وبما أن بنية المجتمع ومصالحه مشروطة بالنظام الاقتصادي كقاعدة، فإن: «الأخلاق هي أيضاً تتحدد بالاقتصاد»[25]، فالماركسية تقيم قطيعة بين الأخلاق والدين، وترى أن الدين لا يحدد الأخلاق بل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية هي من تصنع الأخلاق صناعة مادية بعيدا عن المثل وسلطة الميتافيزيقا: «الدين في كل تشكيلاته الطبقية المتناحرة لا يستطيع القيام بوظائفه الاجتماعية»[26]؛مما يعني أن الشعوب ليست بحجة للغة الأوامر ووعود الميتافيزيقا بل هي في حاجة للعمل والمكاسب المادية في إطار اشتراكي شيوعي مادي ثوري تحرري، لذلك يرى "انجلز"(Engels) أن: «نظريتنا ليست ناموسا إلهيا، ناموسا

يجب حفظه عن ظهر قلب وترديده بصورة آلية، بل هي دليل عمل»[27]، هذا ما يؤكد أن الاشتراكية فلسفة عمل مادي واقعي وحسب "**فختة**"(Fichte) الأخلاق لا تكون مشروعة إلا إذا خلقها ميثاق اجتماعي، لأن الإرادة الأخلاقيـة تنـزع دائمـا نحـو الكلـي لا الفـردي لأن وعـي الـذات لا يتحقـق إلا بـالأخر، يقـول "**ماركس**"(Marx): «الفرد هو جمع علاقاته الاجتماعية»[28].

ومن هذا الأساس كشف "**غارودي**" قضية محورية توصل إليها "**ماركس**" دون غيره في مسائل الأخلاق تجسدت في نظريته التاريخية والمادية الواقعية على عكس"**هيغل**"(Hegel) الذيرى أن الحقيقة الواقعية للفكرة الأخلاقية تحددها الدولة؛ لأن الدين ليس بإمكانه تقديم الكثير للدولة ولا من شأنه رفع مصالح أفراد الدولة إلى مستوى الأهداف الكلية، لذلك فمسألة القيم الأخلاقية على مستوى الأفراد والمقدس مسألة شائكة لتدخل الدولة في توجيهها نحو ما يخدم مصالحها، في حين "**ماركس**" في مؤلفه "الرأس المال": «جعلهاحقيقة واقعية وحية تتحكم فيها أفعال البشر»[29]، فالتاريخ ليس إلا من صنع الإنسان بواسطة العمل الاجتماعي؛ ولكن الملكية وتقسيم العمل يؤديان في هذا الإنتاج إلى ألوان الآلينة (Aliénation)أو الاغتراب، لكن مسار التاريخلم يمنع من وجود مآزق للماركسية، يقول "**غارودي**": «وقد ولدت الماركسية شأنها مشاريع اليوتوبيا الاشتراكية التي سبقتها في القرن (19) وفي السياق التاريخي للثورة الصناعية، حيث أسبغت المظاهر التقنية على الرأسمالية لباسا أسطوريا على شاكلة فاوست أو بروميثيوس وإيمانا مسحيا بالتقدم»[30]؛ذلك أن ماهية الأخلاق عند الماركسية مرتبطة بالحركة المادية والجدل التاريخي والوعي الجماعي في تحديد الأهداف والقيم، فالوعي الماركسي هو وعي مخالف للعقلانية الديكارتية التي تجعل من مبدأ الذاتية مصدر للحقيقة واليقين ومناقض لأي طرح مثالي؛ لأنه وعي متحقق بالواقع المادي الملموس وبالعائد النفعي المحسوس، هذا ما يظهر تأثر "**ماركس**" بمرجعية " **فيختة**" الذي يرى أن مصير الإنسان مرتبط بمصير الآخرين؛ لأن الإنسان ليس بإنسان إلا وسط الناس، ولذلك حسب رؤيته يلزم على الفاعلية الإنسانية أن تمضي من المجتمع القانوني إلى المجتمع الأخلاقي من خلال اتحاد الإرادات وتنظيم الموجودات لترقية كل أفراد النوع الإنساني، فهو أعاد بناء الوعي من جديد من خلال الحرية المؤسسة على برهان علمي مادي واقعي لا على سبيل الصدفة والأفكار المسبقة، ولكي يحقق الإنسان مثل هذا الوعي في الماركسية يجب عليه أن ينتقل من التأمل إلى التاريخ ومن المثالية إلى المادية.

أي الماركسية ترسم أبعاد الحياة خارج العقل الإلهي واستنادا للعقل المادي الوضعي، المتحقق في الزمكان، لذلك عاب"**غارودي**" على الماركسية تغييب دور المقدس في مسار الإنسان والوجود والتاريخ، ورغم ماركسيته انتفض بكل موضوعية ضد تكييف الدين إيديولوجيا لحساب المصلحة المادية التاريخية التي تقول بها الماركسية، كما ثار ضد مقولة: "الدين أفيون الشعوب"(Religionpeoplesopium)، وكانت سبب في زعزعة

ثقته بالمادية العلمية التاريخية بمنظور الشيوعية والماركسية أو الاشتراكية، وبعدما كان يشتغل على المادية العلمية في مشروع رسالة دكتوراه تحول إلى طرح أخر مخالف حول الحرية، مما يعني تراجع انتمائه الماركسي فيقول "غارودي": «فالقول بأن مقولة الدين في كل زمان ومكان يصرف الإنسان عن العمل والكفاح، متناقضين تناقضا صارخا مع الواقع التاريخي»[31]، وبالتاليساد الصراع من أجل المركزية والتقدم وأصبحت القوة والعنصرية معيار التحديث في ظل سيطرة العلم والتكنولوجيا: «ولدت الاشتراكية تاريخيا في القرن التاسع عشر في كل المجتمعات التي استبدل فيها بطبقات العائلات الإقطاعية طبقات أصحاب الأموال، أصبح اقتصاد السوق المنظم الوحيد للعلاقات الإنسانية، نشبت غابة يفترس فيها الأقوى الضعيف»[32].

2.4.الأخلاق الوجودية:

يؤكد "**غارودي**" أن الفلسفة الوجوديةولدت في نقطة انعطاف جذري في التاريخ، فهي ظهرت في لحظة من التاريخ كانت تشهد انهيار القيم التقليدية، لحظة طرحت فيها مسألة عدم معقولية النظام القائم، وإفلاس الإيمان والصراع بين الوعي والطاعة، وهذا الوضع يفسر الإشادة بأهمية الفرد وباستقلاله الجذري وبالقيمة العليا التي أضيفت للقيم ألا وهي الحرية باعتبارها مصدرًا لكل القيم متأثرة بفلسفة "**فختة**" الذي يميز بين نوعين من الحرية؛ حرية الانتماء للمعطى (الدين أو الدولة)، وحرية مادية وهي ضد الأولى، ويرى أن من صفات الحرية الحقيقية أن يكون قانونها بذاتها وعاءً للعقل وتجديدًا للذات وتربيةً للآخرين...الخ.

إنَّ الفلسفة الوجودية تؤكد: «أن وجود الإنسان متقدم وسابق للماهية، حيث أن الفرد يصبح قادراً على تحقيق ذاته بمحض حريته،انطلاقا من واقعه العيني الملموس،واستنادا إلى التجربة الإنسانية المعاشة»[33]، ويؤكد "**سارتر**" (Sartre) من جهة أخرى على فعل الإرادة الحرة والقوة لمجابهة العراقيل وإثبات كينونة الإنسان: « إن الإنسان ليس كائنا تام التكوين، بل إنه كائن يتكون، وهو يتكون باختيار لنوع أخلاقه، وإن ضغط الظروف المحيطة به قوي لدرجة لا يستطيع معها إلا أن يختار»[34]، وقد لاحظ "**غارودي**" أن هذه النظرة الوجودية تحملنقيضين:

أ-إنَّ هذه النظرة للحرية هي نظرة لا زمانية خارجة عن التاريخ، وهي من ذلك تأملية، فصحيح أنه يمكن القول بها في أي لحظة من التاريخ، وأنها تعبر عن حقي في المخالفة وعن واجبي في التشكيك، ولكن إذا كان ينبوع القيم ينبوعا غير تاريخي، فلن يكون بالتالي إثبات سلامة تاريخية حسية.

ب-وبالتالي لأنها تقود إلى صورة أخلاقية، فصحيح أنها تدعو إلى الحرية والمسؤولية، وإلى الشجاعة وضبط النفس، وهذه كلها دعوات ممتازة، ولكن أين وفي أي غاية نستخدمها؟ ؛ لأنه يجب أن نميز بين الغايات والقيم، وهذا ما لم تقم به الوجودية، إنها هي تقول إن كل حالة إنما يقوم الفرد بالتصدي لها، وبتجاوزها كذريعة لممارسة

الحرية، وهذه صورية يمكن أن ترمي بنا في متاهة بين المجودات، ثم إن هذه الصورية تنتهي إلى صياغة التعابير الأكثر دلالة على الأخلاق الفردية، وهي تحمل شعار: -افعل ما يكون لك، وليكن ما يكون -إذا طانت هذه الحرية هي تأملية مجردة صورية»[35]، ينتهي "**غارودي**" إلى قاعدة عملية هي: القيمة الأخلاقية يجب أن تكون غاية في حد ذاتها لا وسيلة.

5.غارودي" نحو مشروع إعادة بناء الحضارة الغربية:

لعلَّ من الأسباب التي دفعت "**غارودي**" للتنبؤ بأن العالم يسير نحو انتحار كوني هو أزمة الحداثة، فمنذ أواخر القرن(19 م) بدأت تبرز إلى السطح مختلف مظاهر الاختناق والتأزم على مشروع الحداثة الغربية، ذلك أن :«الاستعمار أي المجتمع الغربي الذي يزعم أنه يتخذ هذا الإنسان التقني مقياس الأشياء كلها ومركز المبادهة التاريخية الوحيد ومبدع القيمة الوحيد ومن ثم ينكر او يهدم جميع الثقافات اللاغربية وكل الطرائق الأخرى التي تتناول بالفكر وبالحياة علاقة الانسان بالطبيعة وبالبشر وبالإلهي، انتحار لفقدان الهدف، يشهد على ذلك ضروب الفرار إلى المخدرات وانتحار المراهقين بأعداد أكبر في الأصقاع الأغنى»[36]

على حد تعبير "**أدريين كوخ**" (Adrienne Koch): «الحداثة، هذا القرن الفظيع! فمن ذا الذي يتدبر مسيرته وتاريخه ولا يحكم عليه بالفظاعة، ومن ذا الذي ينكر أن الثقة التي كانت تملأ نفوسنا عند مطلعه زالت من النفوس! هي البارقة الأولى من بوارق الخوف الناشئ عن الصور لاحتمال الدمار الشامل لشخصية الإنسان، الخوف الناشئ عن القنبلة الهيدروجينية، و التعذيب الشديد في معسكرات الأعداء وتجارب الفتك الشامل للبشرية...إلخ»[37]، ، وهي أزمة ترسم شخوصها على مختلف مناحي الحياة الغربية، وهو ما سبق أن عبر عنه **آلان تورين** (السيوسيولوجي الفرنسي) في كتابه المعنون الخطابالفلسفي بقوله: «إن الحقل الاجتماعي الثقافي الغربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، لا يمثل مرحلة جديدة في مسار الحداثة، بقدر ما يمثل مرحلة نقدها وتفكيكها»[38]، وهذا راجع إلى سيطرة العقل الأداتي والنزعات التناحرية المادية، فالتقدم والتطور الغربي مرهون بحرب الكل ضد الكل ومع إعدام المرجعيات المقدسة، أصبح شكل العالم داميًا وقلقًا لا روابط روحية بين الذات والآخر إلا المعادلات المادية والمصالح الأنانية؛ إذسادت أخلاق الاستئذاب بل مبادئ الأنسنة، مما يؤكد صحة مقولة "**هوبز**" الشهيرة "الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"، ومنه يلاحظ "**غارودي**" أن أخلاق الحضارة الغربية: «أخلاقا تهتم بالنهب المادي لدرجة عبادته وهذا ما أدى إلى الإعلاء بالفردية وتجاهل الجماعة، ومنه انتهى أي معنى للحياة وأي معنى للقيم المطلقة، وأصبح العلم والتقنية غايتان في حد ذاتهما والمشاكل الأخرى المتعلقة بالحب والجمال ليست موجودة بالأصل»[39]، ما يفهم من هذا ذروة التأزم في تغيب البعد الثنائي من

الوجود الإنساني والانطولوجي بفعل طغيان التكنولوجيا وظهور الكومبيوتر المتأله على حد وصف "**عبد الوهاب المسيري**" لمعالم الانهيار في الحضارة الغربية، وهي نفس الفكرة التي تطرق إليها "**غارودي**"منأن العقل الحداثي التقني والمادي: «ولد نوع من البشر الإنسان المبرمج، ويعني هؤلاء الذين يشبهون العقول البشرية بالكومبيوتر متناسيين أن خاصية الإنسان هي طرح الأسئلة النهائية، وقبلها أسئلة لماذا وما الأهداف النهائية»[40].وفي هذا الصدد بالضبط يرى "جياني فاتيمو"(GianniVattimo): «أن التقنية تمثل أزمة الخط الإنساني لأن انتصار العقل ينفي القيم الإنسانية، فالتقنية صيرورة معممة لإنسانية فقدت إنسانيتها»[41] . ولتجاوز مشكلات الحاضر نحو المستقبل يرى "**غارودي**" ضرورة توفر مكانيزمات للعمل والبحث عن الحل تجاه مستقبل كوني منفتح على كامل الحضارات، ويغذي روابط التواصل بين الإنسانية المشتركة وفق معايير قيمية وكونية، لذلك فهو يرى أن: «المستقبل "ليس ماسيكون" بل ما سنصنعه»[42]، هذا لا يكون: «إلا بإعادة إرساء القيم الأخلاقية والروحية وبإعطاء الأبعاد الإنسانية للإنسان، وفي الإحساس الواعي بالمسؤولية الفردية»[43]، ولن يتحقق هذا الأمل إلا بمراعاة حتمية حدوث تغيرات محورية، وهي حسب "**غارودي**": «تغيير للبنى لا رأسمالية ولا بيروقراطية تقنية ستالينية، أما التغيير الثاني لا دين أفيون الشعوب ولا إلحاد وضعي؛ لأن الوضعية ليس العالم دون إله فحسب بل أيضا العالم بدون الإنسان»[44]؛ذلك أن الطابع المادي للحضارة الغربية أعدم قيمة الحياة بإلغاء الجانب الروحاني منها، وتغول ظاهرة النفوذ والسوق والمركزية الأحادية المادية لصالح الغرب المتفوق؛ مما يضيق فرص التحدي والمجابهة إلا بسبيل كوني فيه حكمة للعقل والسلوك والتعايش . هذا السبيل يتجسد في نموذج الإسلام أي من خلال وسيلة الحوار الذي يعبر عن ثورة واعية ثقافية تحاول أخلقة الحضارة الغربية بأسلمتها روحياً.

6. الإسلام هو الحل:

يجد "**غارودي**" أن الإسلام يمنح هذا العالم مستقبلا مغايرا مثل ما كان الحال في قرطبة والمدينة من قبل، حيثإن الإسلام بوسعه أن يقوم ويحقق ذلك من خلال دعوته الأبدية إلى التسامي وإلى الأمة، يقول: «إن الإسلام بث في إمبراطوريات متفسخة و حضارات متحضرة روحا لحياة جماعية جديدة، وأعاد إلى الناس ومجتمعاتهم أبعادا إنسانية وإلهية نوعية تأخذ بالتسامي والروح الجماعية انطلاقا من عقيدة بسيطة متينة أدت إلى تحديد العلوم والفنون والشرائع والفلسفة البنيوية»[45]، وهذا متوقف على الإيمان بالله وبالإنسانية، والقدرة على الإبداع والتحدي والصمود نحو عالم تحكمه القيم الروحية، وأخلاقيات العبادة و العمل لا معادلات السوق وأخلاق دونية أقرب للغريزة من العقل . يرى "**غارودي**" «أن في هذا العالم اللامعنى أمام هذه الهزيمة الجديدة للإنسان المتفاقمة بسب القدرة التقنيةالبربريةالمبرمجة إلكترونيا، لابدّ أمام كل ذلك من المواجهة بالبديل لمعاودة

الارتفاع إلى الإنسانية»[46]؛ ألا وهو أخلاق الإسلام لكماله الكوني، وهو ما يميزه عن غيره من الأديان،«وبذلك هو الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه مخلفات الهيمنة الغربية، فهو يعطينا التسامي لمواجهة المنهج الوضعي ويحث على طابع الأممية ليخلصنا من الذاتية أو الفردية، فالإسلام لم ينتشر في مراحله الأولى بالقوة العسكرية، بل وصل إلى انتصارات باهرة من خلال ثورة ثقافية أعطت هدفا جديدا للحياة وبعدا جديدا للفرد، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يدّع يوما أن هذا الدين هو من إبداعه، بل كانت دعوته للبشر جميعا أن يعبدوا الله مثلما فعل الخلفاء الأوائل ابتداء من آدم إلى أن سيكتمل بناء المخطط الإلهي على الأرض»[47]، خاصة أن هذه الحضارة أهدرت كل القيم التي أوجدتها الأديان السماوية وأوجدت لنفسها قيمًا تراعي أطماعها المادية وشذوذها نحو السيطرة وصهر العالم في العبث والعدم، فهي متأرجحة بمخالب التقنية ورأس المال لا تعرف الثبات بل الارتياب نحو مستقبل متذبذب، القارئ له يتبصر الدمار بحكم مرجعيات ألا –أخلاق– والعنف والإجرام والبغي والمخدرات والتسلح...الخ، وعدم احترام أهم حق طبيعي وهو مبدأ العيش المشترك في الكون أو العالم، وكأن الوجود أُهدي للإنسان الغربي دون غيره، فرغم ذلك الغرور التقني والعلمي تبقى الحضارة الغربية مريضة روحيا وخالية من أي نور إيماني شمولي،فـ « العلم والتقنية اللذان يستخدمها الغرب للسيطرة على الطبيعة والحضارات اللاغربية، لم يحررا الإنسان الغربي نفسه منذ عصر النهضة؛ لأنه يظل يعاني بدوره من استلاب مزدوج كمنتج وكمستهلك»[48].

من خلال هذا يصل "**غارودي**" إلى الإنسانية العالمية في الإسلام وأخلاقه الكونية،«فالمهمة التي تواجه الإنسان المسلم اليوم هي اكتشاف هذه البساطة وهذه العظمة وتقديمها في هذا القرن الجديد؛تعويضا عن تلك الثروة من القيم التي فقدتها الإنسانية بسبب الغرب»[49].يجزم "**غارودي**" أن الإسلام هو الحل للتخلص من مخاطر الحضارة الغربية وإعادة البعد الإنساني والروحي للإنسان، بناء على أخلاق جماعية وروحية لا مادية، وعليه يقرّ"**غارودي**" أن الأخلاق في الحضارة الإسلامية هي: «الحل لمشاكل الإنسان، حيث لها القدرة على إعطاء الفرد بعده الإنساني الحقيقي، وذلك من خلال وعي العقيدة الصمدية في ذات الله سبحانه وتعالى، وفيالجماعة البشرية، وفي الإحساس الواعي بالمسؤولية»[50]، وتتمظهر الأخلاق عند "**غارودي**"في أخلاق القرآن الكريم وهذا ما يفسر دوافع وأسباب إسلامه، وهي نوعيين:

أ. **الأسباب العقائدية**: تتمثل في كون الإسلام يقدم تصورا معقولاً ومتكاملاً للكون والإنسان والحياة والله تعالى، وللعلاقات القائمة بين هذه المستويات المختلفة.

ب. **الأسباب التشريعية**: تتمثل في كون تشريعات الإسلام وقوانينه تلاءم طبيعة الإنسان والحياة ملائمة تامة، فضلاً عن أنها تحوي من أسباب التقدم ومقوماته ما لا تحويه أي تشريعات أو قوانين أخرى[51]، وكلها مبادئ

تجمع بين الروح والمادة ذات طبيعة أخلاقية تؤثمن رسالة الوحي، وتعمل على هداية العقل والروح نحو الحقيقة الكونية، بإعمال العقل وترقية النفس نحو الصراط المستقيم .والقيم الكونية هي دستور الإنسانية جمعاء على كف المساواة وفقًا لتعاليم الدين الإسلامي، ولتحقيق نظام الكون باستقامة الحياة الخاصة و العامة؛ وذلك يتحقق من خلال الاقتداء بما جاء في سيرة الأنبياء والمرسلين من موعظة وتقرير وهداية؛فعلى الصعيد الاقتصادي يجب إدراك حقيقة أن الله وحده هو الذي يملك، أما على الصعيد السياسي فالله هو الذي يحكم، وبالتالي يكون على مستوى الصعيد الثقافي أن الله وحده يعلم.

ومنه وجب الاهتداء إلى روح الدين وفق مخطط عمل يعيد بعث القيم وإحيائها من خلال رد الاعتبار للمقدس والدين الذي أعدمته الحداثة الغربية بغزو التقنية والعلم المنفصلين عن القيمة؛ وبهذا يحدد **"غارودي"** مخطط عمل يجب مراعاته والمحافظة عليه في حياتنا كمبدأ وقاعدة:

أ. الوحدة التي لا تنفصم بين الحقائق العلمية والعقيدة الراسخة، وذلك من خلال إظهار الفروض الأساسية التي تبنى عليها هياكل العلوم الإنسانية من اقتصاد وسياسة وتاريخ واجتماع، وذلك من خلال تضمين محتوياتها وربطها بالشريعة الإسلامية وما نصت عليه.

ب.التصميم للمخطط الذي من خلاله يتوجه البحث العلمي في إطار استعمال الإنسان، وليس الاهتمام بالتطوير والإنماء وإغفال الجانب الروحي له.

ج. إقامة إعلام لا يختار حقيقته بناء على المبادئ المادية أو التجارية أو للإثارة الحسية أو الجنسية، وما يتبع ذلك من عنف وانحطاط خلقي يجعل الإنسان في درجة الحيوان؛ وإنما إعلام يختار الحقائق الصحفية والاجتماعية تبعا للمبادئ الإسلامية التي تستقر آيات الله في التاريخ[52]؛وهذا لمحاربة الطفل المدلل للحداثة الغربية وهو العلمانية(**Secularism**) التي فصلت كل مستويات الحياة الزمنية وغيبت الأبعاد الروحية؛ حيث أصبح الإنسان فيها وعاءً ماديًّا فارغًا من أي مضمون معنوي ذي قيمة، فهو نظير الآلة فقد جوهره بتخليه عن مقوماته وتراثه؛ وهذا هو هدف الحداثة والعلمانية والعولمة وكل مظاهر التغريب والانسلاخ والاستلاب، القطيعة بين التراث والحاضر والمستقبل؛و ذلك لما يحمله التراث من قيم تشكل خطًّاأحمر على المشروع الحداثي الغربي؛ لذلكيقول "**غارودي**" في هذا الصدد: «يجب أن نستعيد– لصالح الأجيال القادمة– المبدأ الإسلامي القائل بأن الكون والتاريخ لهما معنى ويكوّنان وحدة واحدة، وإنها في الواقع مسؤولية شخصية لكل واحد منا أن يشهد على هذا المعنى، وهذه الوحدة بالطاعة الكاملة لدعوة الله تعالى مثل ما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام»[53].

يرى "**غارودي**": « لو أن الإسلام بدل أن يتمرس خلف ماضيه لاستعاد المفهوم القرآني حول وحدانية الأديان منذ أن نفخ الله روحه في آدم مع شريعة تشكل قاسما مشترك لكل أشكال الإيمان والحكمة على مستوى

العالم كله، وبكلمة أخرى لو جمع بين أصالة القرآن في فقه التحرير مع أصالة رسالة يسوع بعد قرون من لا لهوتيات للهيمنة، لاطمأنت هذه الجبهة العالمية إلى انتصارها على عالم بلا روح تسوده وحدانية السوق»[54]، وهذا متوقف على الإيمان بالله وبالإنسانية والقدرة على الإبداع والتحدي والصمود نحو عالم تحكمه القيم الروحية وأخلاقيات العبادة العمل لا معادلات السوق وأخلاق دونية أقرب للغريزة من العقل.

يقول "**غارودي**": «ومعنى أن نكون أوفياء لديننا وأجدادنا لا يعني أن نحتفظ برماد نار رسالتهم وإنما يعني أن ننشر لهيبها»[55]، ممَّا يعني ضرورة التفاعل مع تعاليم الدين وتفعيلها داخل إطار الفرد والجماعة والعالمالحضارات إذا يرى: « ضرورة تفهم الغرب أن الإسلام يمكنه أن ينقذ العالم كله، من شفا الحروب النووية بتقديم الأنموذج الأمثل للحياة النظيفة الكاملة»[56]،لأن الإسلام جمع بين النظر والتطبيق وبين الرؤية والفعل على مسلمات أخلاقية ومادية تكفل حقوق الأفراد والجماعات : «الإسلام كتتويج لذرية إبراهيم عليه السلام وقد دعا الإنسان من خلال اليهودية والنصرانية والإسلام إلي البحث عن غايته العليا وتحقيقها، يمكنه مرة ثانية أن يبعث الأمل في مجتمعاتنا الغربية التي خربتها الفردية، وخربها أنموذج النمو الذي يسوق العالم كله إلى الانتحار، ولن نستطيع القيام بهذه المهمة إلا بشرط هو أن لا ننسى أبدا أن الوفاء لدار الأجداد لا يكون بالحفاظ على رفاتهم، وإنما بتناقل المشعل من يد إلى يد»[57]

7. خاتمة:

نصلُ في الأخير إلى حقيقة مفادها أن أزمة الحضارة الغربية المعاصرة أزمة مرجعية قيمية بالدرجة الأولى ذات طبيعة معقدة لأسباب إيديولوجية وأخرى حضارية، فهي فاقدة لأخلاقيات الضبط والتوجيه الذي يراعي سلم الحقوق والواجبات ومبدأ احترام الأخر في إطار العيش المشترك والإنسانية الكونية، وتعد الحداثة (Modernity) المسؤول الأول على هذا التصدع والتقويض في أسس الحضارة الغربية وأمام هذا التصدع البنيوي وعدم ثبات الجوهر وإلغاء الثنائيات المتقابلة و تقديس المادي والمدنس، دخل العالم الغربي طريق الانتحار الكوني (Globalsuicide)على لسان "**غارودي** " لجملة أسباب أهمها الحروب الاستراتيجية للهيمنة على العالم وتغيب دور الدين والضمير فهو يتخبط في قمة الرذائل والتشظي (Fragmentation)، لهذا يقدم "**غارودي" مشروع الأمل في إصلاح الإنسانية وهو**الإسلام حل لكل مآزق العالم الغربي الروحية من خلال مشروع في سبيل حوار ؛ ما يفهم من هذا الطرح أن أزمة الحضارة الغربية تكمن في انسلاخها عن الثوابت والمعايير المتعالية، وعليه يجب تخصيبها شموليا بالقيم العليا للإسلام كدين كوني جامع لمصالح الإنسانية المشتركة وفقا لحق العيش المشترك (Livingtogether) وواجب احترام حدود الأنا وشرعية الأخر في الوجود والمشاركة الديناميكية لمختلف مستويات الحياة وفق أخلاقيات الانتماء الإنساني الكوني .

الهوامش والتعليقات:

(1)ابن منظور، لسان العرب، مج؛ لبنان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص194

(2)الجرجاني،التعريفات،دارالكتابالمصري،دارالكتاباللبناني،القاهرة-بيروت،ط:1، 1991،ص106

(3) غارودي روجيه، حفارو القبور-الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة صبحي عزة، د3، دار الشروق، القاهرة،2002، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص105.

(5) أشفيتسر ألبرت، فلسفة الحضارة، ترجمة، بدوي عبد الرحمن، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1980، ص222.

(6) غارودي روجيه، حفارو القبور-الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها – مصدر سابق ذكره، ص105.

(7) المصدر نفسه، ص 100.

(8) المصدر نفسه، ص ص102،103.

(9) المصدر نفسه، ص69.

(10) المصدر نفسه، ص ص68،69.

(11) الفار عبد الواحد محمد، الثقافة الإسلامية، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص236.

(12)غارورديروجيه،منأجلحوارالحضارات،ترجمةالعواعادل،دط،دارعويدات،بيروت،لبنان، 1982ص34

(13) تفاحة أحمد زكي، حوار بين الفكر الديني والمادي، دط، دار الكتاب اللبناني، دت، بيروت، لبنان،ص29.

(14) غارودي روجيه، الإسلام وأزمة الغرب، ترجمة المصري رفيق، عالم المعرفة، ط1، عالم المعرفة،1993،جدة، ص19.

(15) نقلا عن صعب حسن، علم السياسة، ط 4، دار الملايين بيروت، د س، لبنان، ص 74

(14) بطرس بطرس غالي، محمود خيري عيسى، المدخل في علم السياسة، ط 4، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1974، ص207.

(15) غارودي روجيه، كشف حساب الفلسفة الغربية في هذا القرن، ترجمة الفيتوري أبوبكر، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد(07)، دب، دت.

(18) غارودي روجيه، كيف نصنع المستقبل؟ ترجمة طلبة منى، مغيث أنور، ط1، دار الشروق،1999، القاهرة، ص50.

(18) نقلا عن غارودي روجيه، من أجل حوار الحضارات، ترجمة العوا عادل، دط، دار عويدات، بيروت، لبنان، 1982، ص16.

(21) نقلا عن المولى سعود، (تجاوز الحداثة) مجلة الملتقى، (دب)، العدد2001،03 ، 03، ص12.

(22) غارودي روجيه، كيف نصنع المستقبل؟ مصدر سبق ذكره، ص208.

(23) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، إعداد الخشت محمد عثمان، دط، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، دت، القاهرة، ص32.

(24) فرح إلياس، تطور الفكر الماركسي –عرض ونقد–، دط، دار الطليعة للطباعة والنشر، دت، بيروت، لبنان، ص 391.

(25) كوفالسوف كيللة، المادية التاريخية (دراسة في نظريات المجتمع الماركسي)، ترجمة شاهين إلياس، دط، دار التقدم، دت، موسكو، ص 145.

(26) تفاحة أحمد زكي، حوار بين الفكر الديني والفكر المادي، مرجع سبق ذكره، ص 34.

(27) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص 35.

(28) نقلا عن حنفي حسن، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، دط، دار الفكر العربي، دت، مصر، ص157.

(29) نقلا عن غارودي روجيه، ماركسية القرن العشرين، تعريب الحكيم نزيه، دط، منشورات دار الآداب، بيروت، 1987، ص 112.

(30) غارودي روجيه، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط –كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين–نقله إلى العربية مروان حموي، ط1، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دمشق،1998، ص127.

(31) غارودي روجيه، ماركسية القرن العشرين، مصدر سبق ذكره، ص147.

(32) غارودي روجيه، حفارو القبور–الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها–مصدر سبق ذكره، ص49.

(33) غارودي روجيه، ماركسية القرن العشرين، مصدر سبق ذكره، ص 111.

(34) سارتر جون بول، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة الحاج كميل، دط، دار مكتبة الحياة، دت، بيروت، ص79.

(35) غارودي روجيه، ماركسية القرن العشرين، مصدر سبق ذكره، ص 122.

(36)غارودي روجيه،منأجلحوارالحضارات،ترجمةالعواعادل،دط،دارعويدات،بيروت،لبنان، 1982،ص39

(37) كوخ أدريين، آراء فلسفية في أزمة العصر، ترجمة، محمود محمود، دط، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1963، ص15.

(35) بوشلاكة رفيق عبد السلام، مآزق الحداثة –الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة، مجلة إسلامية الفكر الإسلامي، عدد1992، ص112.

(39) غارودي روجيه، الإسلام في الغرب –قرطبة عاصمة الروح والفكر–، ترجمة الصدر محمد مهدي، دط، دار الهدى، دت، لبنان، ص47.

(40) غارودي روجيه، حفارو القبور–الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها–مصدر سبق ذكره، ص91.

(37) جياني فاتيمو، نهاية الحداثة – الفلسفات العدمية ولتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ترجمة، جيوشي فاطمة، دط، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1998، ص 49.

(42) غارودي روجيه، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط –كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين–مصدر سبق ذكره، ص151.

(43) غارودي روجيه، يقاضي الصهيونية الإسرائيلية، ترجمة رانيا بونا صيف وبيار ريشا، مراجعة هنري زغيب، ط2، دار عويدات للنشر والتوزيع بيروت، لبنان ،2000، ص 29.

(44) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص ص ،68،67.

(45) المصدر نفسه، ص11.

(46) غارودي روجيه، حفارو القبور–الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، مصدر سبق ذكره، ص122.

(47) غارودي روجيه، الإسلام في الغرب–قرطبة عاصمة الروح والفكر–مصدر سبق ذكره، ص46.

(48) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص66.

(49) غارودي روجيه، وعود الإسلام، ترجمة دوقان قرقوط، دط، دار دمشق للطباعة والنشر، سوريا،1985، ص35.

(50) غارودي روجيه، نداء إلى الأحياء، ترجمة دوقان قرقوط، دط، دار دمشق للطباعة والنشر، سوريا،1981، ص 35.

(51) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص10.

(52) غارودي روجيه، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سبق ذكره، ص 240.

(53) غارودي روجيه، وعود الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص 34.

(54) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص 66.

(55) غارودي روجيه، الإسلام وأزمة الغرب، مصدر سبق ذكره، ص 35.

(56) غارودي روجيه، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مصدر سبق ذكره، ص109.

(57) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

شرح أهم المصطلحات الواردة في متن البحث:

الحداثة:جاء في قاموس "**لالاند**" كلمة الحداثة مشتقة من الكلمة اللاتينية "Modeernos" مودارنوس، وقد إبتدأ إستعمالها في القرن العاشر في المسائل الفلسفية والدينية وذلك تحت معنى تفتح وتحرر العقل، نقلا عن:

André Lalande, la presse universitaire de la france,1998, p vocabulaire technique et critique de la philosophie, 2em édition; paris: 640.

التقويض(Déconstruction): مصطلح أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر جاك دريدا على القراءة النقدية (المزدوجة) التي اتبعها في مهاجمته الفكر الغربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا. أنظر ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي-إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، (ط4؛ المغرب؛ المركز الثقافي العربي،2005)، ص107.

يوتوبيا(Utopia): كلمة يونانية معناها لا مكان ثم أصبحت وصفا لأي كتاب يقدم تصورا لدولة مثلى تحقق السعادة للناس، وتطلق على الفردوس المفقود أو عالم المثل، أنظر روجي غارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، ص119.